نبات الرامي

أو أعجوبة الصين — أو الصوف النباتي

قرأت في حداثتي منذ أربعين سنة النبذة المقتضبة الآتية على نبات الرامي ، وذلك في مجلة المباحث العلمية الانكليزية العامة المؤرخة في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠٦ بعنوان « وبر نباتي صيني نادر لصنع الثياب » فأعجبت بخصائصه الطريفة وتوقعت له مستقبلاً حسناً ورواجاً عظيماً في عالم المنسوجات . وتمنيت حينئذٍ أن يطيل الله حياتي حتى أشاهد هذا النبات ذا الوبر العجيب مزروعاً في وادينا الخصيب . فأراد القدير سبحانه وتعالى ، تحقيق أمنيتي تلك ، في شيخوختي إذ غدوت في مطلع العقد السابع من العمر ، قضيت أكثر من أربع حلقات منها مشغوفاً بالمباحث العلمية على تباين أغراضها . ولكل امرىء من دهره ما تعوّد . وكنت في خلال تلك الحقبة المديدة كثيراً ما أناجي نفسي قائلاً : —

« هل زرعت مصرنا القديمة أو الحديثة هذا النبات النافع ، وحتّام تتقاعد عن مجاراة الأمم الأخرى في الحصول على النباتات الاجنبية للانتفاع بها اقتصادياً لأن هذا الأمر من أوجب واجباتنا نحن معشر الوطنيين المصريين الناهضين لنحذو حذو أجدادنا في دولة الفراعين التي أثبت التاريخ أنها كانت مهد العلم والحضارة . وهي العريقة في المدنية التي علمت العالم ، قواعد المدنية وأصولها ونشرت عرفانها في عالم حالك الظلام ، غارق في دياجير الجهل والهمجية والفوضى » كما قال حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا في خطابه في دائرته الانتخابية في كفر الدوار يوم ٢٦ ابريل سنة ١٩٤٦ » والحمد لله فقد تحققت الأماني . واليك ما قالته المجلة الانكليزية المشار اليها في وصف الرامي : —

« علمنا أن المدارس الصناعية ومدارس النسيج المشهورة التي تديرها السيدة إرنست هارت في دونيجال من أعمال إرلندة ، قد انتجت من وبر الرامي نسجاً من المنسوجات الفاخرة التي تصلح للاغراض الطبية والجراحية . ومنها قماش متقن ، لا ينضح الماء . ولا شك

أنه سيصير أصلح لاستشفيات والاستعمالات الشخصية من الشراشف « الملاءات » المطاطية المألوفة الآن . وثمة صنف جديد يصنع أيضاً من وبر الرامي ونعني به الكلل (الناموسيات) التي لا تمزق . وهي نافعة الاستعمال في المناطق الحارة ، وذلك لأنها تمكث زمناً أطول من مثيلاتها القطنية ، وتظل أقل منها تعرضاً لتشقق منافذها (عيونها)

« والرامي فصيلة من فصائل نبات القُرَّاص الضخم « بضم القاف وتشديد الراء مع فتحها » عشب ذو وبر حاد يقرص من مسّه . والواحدة قُرَّاصة كما جاء في معجم المنجد » ووبره ينمو تحت لحائه الخارجي مباشرةً ويصلح للنسج ، إما وحده وإما مخلوطاً بالصوف أو القطن فيكسب القماش الذي يدخل في نسيجه صقلاً حريرياً جميلاً . والرامي من حاصلات بلاد الصين عامياً ، حيث تزرع به مساحات كبيرة جداً . ومن خصائصه أنه متى زرع ، ظلَّ في تربته منتجاً غلته ، اثنتي عشرة سنة . وعالما يُقرط منه نتاجه الناضج في إبانه ينمو غيره مرة أخرى ، وهلمَّ جرًّا » .

***

وجاء في معجم تشمبرس الانكليزي أن الرامي ، Ramee و Ramie هو حشيشة الصين واسمه بالسان النباتي Boehmeria nivea بهمريا نيڤيا أو Rhea ريا وهكذا يسمى وبره . وهو نبات مستعمل في الشرق منذ زمن بعيد لصنع الحبال والأمراس « السلب أو حبال المراكب » ومنه ينسج الصينيون واليابانيون ثياباً .

وورد في المعلمة الانكليزية : « الرامي نباتٌ وبريٌّ ذو نوعين ، وهو من فصيلة الأورتيكاسيا Urticaceae . وأحدهما بهمريا نيڤيا والآخر بهمريا نيڤيا تيناسيسيما tenacissima ويزرع كثيراً في بلاد الهند والأقطار المجاورة لها . وهو ذو منافع اقتصادية عظيمة إذ يُعدُّ وبره من أمتن الألياف وأنعمها في المنسوجات ويمتاز بميزات كثيرة غريبة مثلها في صوف الغنم »

ثم قرأت في أحدث ما ورد عليَّ من المجلات العلمية الانكليزية نبأ كان من بواعث سروري ، ولا غرو فقد جاء فيه ، « أن قدماء المصريين عرفوا الرامي في عهدهم واستعملوه

في تكفين كثيرين من موتاهم وفي لف جثث محنطة جمة » فقلت عندما انتهيت من مطالعة هذا الخبر « انه قد ينفي الاعتقاد السائد حتى الآن ، وهو أن الجثث المحنطة التي يكشفها علماء الآثار بين الفينة والأخرى ، ويقولون انها ملفوفة جميعها بالكتان ، هي ليست كذلك لأن أكثرها ملفوف بالراعي وهو أمتن من الكتان بعدة مرات » .

فحفزني ما وقفت عليه من هذه المعلومات القيمة ، قديمها والحديث ، كما أسلفت ، على مواصلة استقصاء الموضوع حتى أقف على الحقيقة برمتها . فأثرت زيارة قسم البساتين التابع لوزارة زراعتنا في ضاحية الجيزة ، ابتغاء الاستعلام عن الراعي ، وهل هو معروف في مصر ويزرع في أرضها ؟ وصحت عزيمتي فيممت شطر ذلك القسم في صباح يوم ١٠ أبريل سنة ١٩٤٦ حيث تشرفت بمقابلة حضرة رئيسه المفضال صاحب العزة يوسف بك ميلاد ، فما إن أطلعته على رغبتي حتى تفضل فوجهني الى حضرتي الأستاذين سليم أفندي نظيف وأبي زيد أفندي خليفة جابر وهما المشرفان على زراعة الراعي . فأتاحا لي مشاهدة ذلك النبات العجيب في مستنبتاته وحقل تجربته وأعطياني نموذجاً من وبره الناعم الحريري الملمس ، كما قدم لي حضرة المدير ميلاد بك ، ساقاً جافة بأليافها .

وقد أخبروني أن ولاة الأمور يهتمون به كل الاهتمام ، وذلك نتيجة اختراع آلة اميركية ، لتقشير ألياف الراعي عن سوقه تقشيراً متقناً عاجلاً . وقالوا ان التقشير اليدوي كان حائلاً يحول دون إقبال الزراع على زراعته للانتفاع بوبره المتين جدًّا ، في المنسوجات والحبال ، ثم صرحوا بأن وزارة الزراعة قد أقرَّت في الميزانية العتيدة تخصيص عشرين فداناً من أطيانها في تفتيش سخا ، لزراعة الراعي ، لتصير نواة لغيرها ، فاغتبطت بهذه البشرى التي زفوها إليَّ وودَّعتهم شاكراً لهم حسن صنيعهم واعداً إياهم بكتابة هذا البحث في مجلة المقتطف تنويراً لأذهان من يعنون به . ومن حسن الحظ اني عندما شرعت في إعداد هذا المقال ، وكاشفت بنيتي حضرة الصديق الأستاذ اسماعيل مظهر رئيس التحرير لقيت منه تشجيعاً أدبيًّا عظيماً إذ أرشدني الى كتاب زراعي قديم طبع في القاهرة منذ نحو ٨٠ سنة فاقتبست منه الفصل التالي على الراعي ، وهو كل ما يشفي غلة القارىء الزراعي في العهد الحالي : —

أنجرة الصين

نقلاً عن الجزء الثاني من كتاب حسن الصناعة في علم الزراعة — تأليف المغفور له الأستاذ الحاج بك ندى . معلم علم المواليد الثلاثة بالمدرسة الطبية ومدرس علم الزراعة بالمدارس الحربية — (وهو سفر نفيس طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر في عهد المغفور له الخديوي اسماعيل باشا) .

اعلم أن النباتات التي تصنع منها المنسوجات ، صعبة التعود على الأقاليم التي يراد ادخالها فيها ، ومتى حصل النجاح في إدخال نوع جيد منها ، تحصلت منه أرباح عظيمة . وانتشاره في الزراعة قد يساعد كثيراً على ثروة الممالك .

فالقطن الذي أدخلت زراعته في القطر المصري ، في عهد المرحوم جد الخديو الأعظم ، قد اكتسب منه الزراعون مبالغ جسيمة من الدراهم . لكن هذا النبات معرَّض كغيره للمصائب التي تتلف محصولات الزراعة ، فانه قد أصيب منذ سنوات بدودة تتلف كثيراً من مبايضه أثناء الزهر . وتدخل في الجوز متى كان ليناً فتمنع تكوين القطن في باطنه .

ومرض القطن يحصل منه إتلاف عظيم في زراعة الديار المصرية ، إذا لم يتنبه له الزراعون، كما حقق ذلك جناب أندرية بك الاجزاجي الكيماوي بالمحروسة فقد شاهد منذ سنين أن انتشار هذه الحشرات آخذ في الازدياد دائماً ، وأعلن في شأنها جملة رسالات مهمة في أوربا. وذكر جملة وسائط لمنع تكاثرها وانتشارها .

وشجر الكرم الذي هو ثروة بلاد كثيرة يصاب بنبات خفيّ الزهر يسمى بالسان النباتي (أويديون) ويحدث فيه أتلافاً عظيمة كل سنة .

وقد أصيب البطاطس أيضاً في البلاد الأجنبية منذ زمن طويل بمرض لم يمكن تخلصه منه الى الآن (وقد سبق ذكره في الخضراوات)

فمتى استوطن نبات أجنبي وانتشر في بلدة وابتدأ أن يساعد على انتشار الثروة ، ظهرت له في الغالب آفات أو حشرات متلفة ينشأ عنها ضرر عظيم في المزروعات . فكأن المراد بذلك إلجاء الزراعين الى البحث عن إدخال نباتات أجنبية جديدة تقوم مقام النباتات القديمة

التي تغيرت في أرض لم تكن وطنها الأصلي او ماتت بالأمراض أو بالحشرات . ولذا شرعوا في أوربا الآن في البحث عن استبدال البطاطس الذي أتلفه المرض زيادة فزيادة بانيام الصين الذي لم يصبه أدنى مرض الى الآن .

والمأمول انتشار زراعة أنجرة الصين بالديار المصرية مع زراعة القطن . وقد استنبتت في الأعصر الخالية ، ويظهر أن قدماء المصريين كانوا يعرفونها .

وأنجرة الصين تسمى بالأفرنجية (أورتى دوشين) وباللسان النباتي (أورتيكا سينفسيس) أو (أورتيكا أوتيليس) أي النافعة كما تسمى أيضاً (أورتيكاتينا سيبا) أي ذات الألياف المتينة جداً . وهي صنف من الأنجرة الثلجية ، لها ساق أرضية في غلظ الأصبع متجرد من الظاهر ، بيضاء من الباطن ، يخرج منها عدة سوق قائمة ، متينة ، طول الواحدة منها من متر الى متر ونصف ، ذات نخاع كثير ضارب للحمرة . وهي ملساء نحو أسفلها وَبَرية في باقي طولها .

وهذه السوق الأرضية إذا زرعت بالشروط الموافقة لزراعتها ، أمكن أن تعيش في الأرض وتتحصل منها سوق زمناً طويلاً . والسوق القائمة تصير خشبية إذا لم تقرط ، فتحمل فروعاً أفقية مُزيَّنة بأوراق متوالية ذنيبية عريضة قلبية ، مسنَّنة ، منشارية ، خضراء دكناء ، خشنة السطح العلوي ، ومسطحها السفلي ضارب للبياض مع انه أبيض جداً في الأنجرة الثلجية . ولهذه الأوراق ثلاثة أعصاب قاعدية وهي منطاة بوبر كثير ومصحوبة بأذينين . والأزهار عنقودية متراكمة تخرج من آباط الأوراق من نصف النبات الى جزئه العلوي . وقد أهداها طيب الجناب الخديوي الأعظم حضرة (بورجيبك) الى حديقة الجزيرة فنجحت نجاحاً عظيماً .

وأنجرة الصين الكثيرة النفع ، قد استنبتت في أرخبيل الهند وفي اليابان وبلاد الصين وأهل الصين يزرعون هذا النبات في بيوت صغيرة ، بالأراضي الرطبة التي بقرب الانهار . وبعد قرط سوقها ، تنزع أوراقها ثم تحال السوق الى حزم ، وتمطن في الماء زمناً يسيراً ، ثم تزال بشرتها بسكين .

و ألياف هذا النبات من ألذ الألياف المعروفة وأحسنها فهي بيضاء صدفية ، ناعمة

الملمس جدًّا . وبهاتين الصفتين تتميز عن ألياف الأنجرة التاجية ذات لونها صاوب الخضرة وملمسها خشن . والأقمشة والحبال التي تصنع من أنجرة الصين ، تمكث زمنًا أكثر من التي تصنع من الكتان أو التيل ، ومتانتها عظيمة. ويتكاثر هذا النبات بالبزور وبتجزئة الجذور

فالتكاثر بالبزور صعب جدًّا ، وبه تصير الأنجرة معرضة للتغير . والسوق التي تتولد منها لا تصل الى قوتها ولا تصير صالحة للقرط إلاَّ بعد سنتين .

وأحسن طريقة لتكاثرها تجزئة جذورها . فبهذه الكيفية يتأتى قرط السوق مرتين في السنة الأولى . وأربع مرات في الثانية ببلاد الصين . ومثل ذلك يحصل في الديار المصرية .

وكيفية تكاثر أنجرة الصين بتجزئة جذورها ، أن تكشف تلك الجذور ثم تجزأ ثم تزرع خطوطًا في أرض مجهزة بحيث يكون البعد بين كل قطعة والأخرى ٦٠ سنتمترًا من جميع الجهات . وأحسن الفصول لزراعتها بالديار المصرية ، فصل الربيع ومع ذلك فقد زرعت في فصل الخريف ونجحت .

وفي أثناء نمو السوق تسقى الأرض بكثير من الماء في فصل الصيف . ولا بأس بقرط الفروع لاكتساب السوق قوة . وما يزرع منها في فصل الربيع تتحصل منه جملة محصولات في صيف وخريف السنة عينها .

واعلم أن البعد الذي يجعل بين النباتات له تأثير في حالة الألياف . فاذا أريد الحصول على ألياف ثخينة ، زرعت النباتات على بعد ٧٥ سنتيمترًا . واذا أريد الحصول على ألياف دقيقة زرعت النباتات على بعد ٥٠ أو ٦٠ سنتمترًا ، فتستطيل السوق حينئذٍ وتصير أليافها دقيقة كثيرة .

والنباتات المتولدة من البزور لا تبلغ في خريف السنة الأولى من ٦٠ الى ٨٠ سنتمترًا ولا يتحصل منها محصول الاَّ في السنة الثانية ، مع أن النباتات التي تتحصل من تجزئة الجذور ، تتولد لها سوق يبلغ طولها مترًا ونصفًا ، ويتحصل منها محصولات في السنة الأولى . ولأجل قرط السوق لا ينبغي أن ينتظر نضج البزور ، بل ينبغي قرطها متى ابتدأت أن تكتسب قوامًا خشبيًّا نحو قاعدتها . وذلك يكون قبل التزهر بزمن يسير .

وقد ذكر حضرة جاستينيل بك نبذة لطيفة في شأن هذا النبات وهاك نصها : —

اعلم أن أنجرة الصين التي اعتادت على أهوية القطر المصري، في عصرنا هذا وتشهرت بمحصولاتها الجيدة . وهي التي تصنع من ألبانها الأقمشة الفروية للانسان ، في كل اقليم جديرة بالتفات الزراعين اليها . ولا يخفى أن ألبافها التي في قشرة ساقها ، تكون متلاصقة ما دامت المادة الصامغة لها موجودة وهذه المادة مكونة من شمع وراتينج وصمغ ، وبكتين وسكر ومادة زلالية ومادة ملونة .

والطريقة السهلة المجارية ببلاد الصين أن تقرط سوق النباتات صباحاً حالة كونها مبتلة بالندى . ثم تفصل القشور بالشق ثم تحك السوق بسكين لتنفصل منها الألياف ثم تغمر تلك الألياف والقشور زمناً يسيراً في الماء المغلي ثم تجفف في الشمس ثم تضرب بالعصى الصغيرة ثم تمشط .

فاستبان مما ذكر أن القشور المنفصلة من سوقها لا تعطن في الماء . وقد ظهر لنا بالتجارب أنها اذا عطنت في ماء درجة حرارته ٣٢ + مدة يومين ، تبدد ما فيها من المنسوج الخلوي وانفصل بسهولة عن الألياف بواسطة فرشة . ثم اذا غسلت بماء كثير ، انفصل عنها ما بقي فيها من المنسوج الخلوي بالكلية .

وهذه الألياف تكتسب ابيضاضاً عظيماً إذا عرضت زمناً لتأثير الندى والشمس .

قال وقد ذكر المعلم (رامون) في رسالة ألفها في أنجرة الصين أن التجارب التي أجريت على هذا النبات . تثبت انه لا يستدعي أرضاً خصبة . وانما يستدعي رطوبة ودرجة حرارة مرتفعة . وهو يصلح الأرض فيصيرها نافعة للزروعات الأخر . وهذه المنفعة لا توجد في النيل ولا في الكتان فانهما يستدعيان أرضاً خصبة وينهكانها. وأيضاً هذان النباتان سنويان . مع أن أنجرة الصين معمرة وقوة انباتها لا تستدعي الاهتمامات التي يقتضيها النباتان المذكوران . وضف الى هذه المنافع كثرة محصولها لطول سوقها وسهولة انفصال قشورها التي تتبدد بسرعة وسهولة مع أن النيل والكتان يستدعيان تعطيناً أولياً طويل المدة مضراً بالصحة .

وهناك سبب آخر يوجب انتشار زراعة أنجرة الصين بالديار المصرية ، وهو أنها تتحصل منها ألياف أجود من ألياف كل من الكتان والنيل لطولها ، وبياضها ولمعانها العدم

ومتانتها فهي أشبه بالحرير . وقد حقق صناع أوربا في هذه الألياف ، سهولة عظيمة في اكتساب الألوان اللطيفة . وتختلط بكثير من القطن والصوف والحرير بسهولة فتتكوّن من ذلك أقمشة جامعة للمتانة والبهاء . ولاشك أن زراعة أنجرة الصين في جزء متسع من أرض الديار المصرية ، يتحصل منها ربح عظيم .

الكلام على زراعة الانجرة المعتادة او الكبيرة

تسمى بالافرنجية (جراندورتي) وباللسان النباتي (أورتيكاديوئيكا) أي ذات المسكنين وأذا استثنينا الفقراء الذين يجمعون الانجرة من الخيطان ليطعموها لأغنامهم وجدنا أن سائر الناس لا يعتني بهذا النبات ، بل يبغضه لأنه متى لمسه يستشعر منه بأكلان محرق ناشيء عن سائل يرشح من طرف الوبر الذي يغطي سطح الأوراق والساق . ولهذا السبب يسمى هذا النبات في العرف ، بالقريص . فاذا قطعنا النظر عن هذا الضرر الخفيف رأينا أن الانجرة الكبيرة نافعة فان سوقها اذا أحرقت تحصل منها كثير من البوتاسا . واذا عطنت كالتيل استخرجت منها ألياف ان لم تقرب من ألياف التيل في الجودة تقرب منها في الرقة والبياض والاحالة الى أقمشة بسهولة . وقد صنع منها ورق لطيف جدًّا في بلاد النمسا وأهل قشتالة (بحيث جزيرة في الجهة الشمالية الشرقية من آسيا) يصنعون منها حبالاً متينة وشبكات لصيد السمك وخيطاً للخياطة . وقد حققت جمعية الزراعة التي في آنجيه (مدينة في فرنسا) جميع هذه الخواص في الانجرة وأوصت بزراعتها . ثم يحرونه

* * *

وبعد كتابة ما تقدم أبلغني حضرة رئيس التحرير خبراً يؤيد معرفة قدماء المصريين للرامي منذ زمن بعيد اذ قال إنه أن في بلدة شبرا خشبي من اعمال مركز السنبلاوين بمديرية الدقهلية حوضاً زراعيًّا يسمى الى اليوم بالرامية . وان هذه التسمية ترجع الى العصر الذي كان يزرع فيه ذلك النبات المشهور بتلك الجهة . وظل معروفاً في الديار المصرية الى عهد المغفور له محمد علي باشا الكبير جد الأسرة الملكية المصرية وخلفائه »

عمر صبحي عنتري